

مستويات المفردة ومجالاتها الدلالية في كتاب " الزينة في الكلمات الإسلامية العربية "

لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت 322هـ)

The individual levels and their semantic fields
in the book "Decorations in Arabic Islamic Words"
For Abu Hatim Ahmed bin Hamdan Al-Razi (d. 322 AH)

بهلول محمد سيدأحمد¹

جامعة أحمد بن بلة 1 وهران

sidbah@rocketmail.com

تاريخ الوصول: 2019/12/21 القبول : 2021/02/04 النشر علي الخط: 2021/06/15

Received: 21/12/2019 Accepted : 04/02/2021 Published online : 15/06/2021

ملخص:

تهدف الدراسة إلى بيان وتصنيف مستويات المفردة ومجالاتها الدلالية في كتاب " الزينة في الكلمات الإسلامية العربية " لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت322هـ). لقد جمع المؤلف في كتابه من شتى الألفاظ العربية ما تغير مدلولها ومعناها في العصر الإسلامي عمّا كانت عليه في العصر الجاهلي، وهو بهذا استطاع أن يضع اللبنة الأولى في علم معاني الأسماء العربية. صنّفت هذه المفردات حسب مستوياتها التي تنبّه إليها صاحب " الزينة " فمنها ما هو جاهلي عرفته العرب قبل الإسلام بألفاظه ومعانيه، ومنها ما هو إسلامي جاء به القرآن الكريم وعرفت العرب أصوله ومواده، كل ذلك حسب مجالاتها الدلالية (مفردات خاصة [أسماء الله الحسنى، عالم الغيب، اليوم الآخر، الفرائض الإسلامية...). وقد التزمنا في تصنيفنا بلفظ الكلمة قيد البحث وصورتها الصرفية، وذكرها في القرآن الكريم ثم دلالتها في هذا النص مقارنة بمعناها الأصلي كلما أمكن ذلك.

الكلمات المفتاحية: مستوى، مفردة، مجال، دلالة، جاهلية، إسلام.

Abstract:

The study aims to describe and classify the singular levels and their semantic fields in the book "Adornment in Islamic Arabic Words" by Abu Hatim Ahmad bin Hamdan Al-Razi (d. 322 H). The author has gathered in his book from the various Arabic words what changed their meaning and meaning in the Islamic era from what it was in the pre-Islamic era, and he was able to put the first building block in the science of the meanings of Arabic names. Classified these vocabulary according to the levels that alert the owner of the "adornment", including what is ignorant Arabs knew before the words and meanings of Islam, including what is Islamic came from the Koran and the Arabs knew its origins and materials, All according to their semantic fields (special vocabulary [names of Allah, the world of the unseen, the other day, the Islamic statutes ...). We have committed ourselves in our classification of the word in question and its morphological image, and mentioned in the Koran and then its significance in this text compared to its original meaning whenever possible.

Keywords: Level, singular, field, significance, ignorance, Islam

¹ البريد الإلكتروني: sidbah@rocketmail.com

¹ المؤلف المرسل: بهلول محمد سيدأحمد

1. مقدمة:

كتاب (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) هو من تأليف الشيخ العلامة أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي المتوفى 322هـ. يقول مؤلفه في سبب تسميته للكتاب: "وسمّيناه "كتاب الزينة"، إذ كان من يعرف ذلك يتزّين به في المحافل، ويكون منقبة له عند أهل المعرفة. ولعلّ أكثر الناس قد غفلوا عن الواجب عليهم في تعلّمها، واللازم لهم من معرفتها.¹ تولى تحقيقه والتعليق عليه الأستاذ حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي من علماء اليمن. والكتاب من منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني عام 1994م.

كتاب أبي حاتم عبارة عن ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأولان من تحقيق الدكتور حسين بن فيض الله الهمداني كما أشرت سابقاً؛ يتحدثان عن الكلمات العربية الإسلامية ومعانيها قبل نزول القرآن. أما القسم الثالث، فهو بتحقيق الدكتور عبد الله سلّوم السامرائي، وهو القسم المتعلّق بأصحاب الأهواء والمذاهب، وضح فيه الفرق الإسلامية، والفرق التي تفرّعت عنها من أهل الأهواء والنحل المختلفة. القارئ لمقدمة تحقيق كتاب "الزينة"، يرى أنّه أول كتاب ألفه صاحبه في القرن الرابع الهجري، يتضمّن الأسماء العربية التي نطق بها القرآن، والأسماء التي اصطلح عليها المسلمون وسمّاه كتاب الزينة. حاول فيه المؤلّف أن يجمع من شتى الألفاظ العربية، ألفاظاً تغيّرت مدلولاتها ومعانيها في العصر الإسلامي عمّا كانت عليه في العصر الجاهلي. وبعمله هذا، وضع اللبنة الأولى في علم معاني الأسماء العربية Arabic Islamic Semantics .

وتبرز إشكالية هذه الدراسة أولاً: في تتبع ما وُضع من الكتب في هذا الموضوع حتى القرن الرابع الهجري، إذ لم يُعثر على كتاب يعالج هذا اللون من الدراسات. ثانياً: في تبّنه صاحب "الزينة" إلى المستويات اللغوية للمفردات التي عالجها في كتابه، ومن هذا الإشكال جاءت الأسئلة الفرعية التالية: ماهي مستويات المفردة في كتاب الزينة؟ وما هي مجالاتها الدلالية؟ اتّبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والذي من خلاله تمكنت من تصنيف مفردات كتاب "الزينة" إلى مستويات مختلفة، ملتزمين في تصنيفنا بالمفردة قيد الدراسة، وصورتها الصرفية، وذكرها في القرآن الكريم ثمّ دلالتها في هذا النص مقارنة بمعناها الأصلي كلّما أمكن ذلك.

وبهذا جاء طرح الموضوع في ثلاث مستويات حملت مجالات دلالية مختلفة وهي:

المستوى الأول: الألفاظ الجاهلية، ومجالاتها الدلالية.

المستوى الثاني: الألفاظ الإسلامية، ومجالاتها الدلالية.

المستوى الثالث: الألفاظ المولدة، ومجالاتها الدلالية.

فأبو حاتم الرازي (322هـ) يريد تفسير من معاني الأسماء ما هي قديمة في كلام العرب، واشتقاقاتها معروفة، وأخرى دلّ عليها النبي ﷺ ونزل بها القرآن، بحيث أصبحت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة لم تكن تُعرف قبل ذلك، ومع ذلك فهي مشتقة من ألفاظ العرب،

¹ الرازي (أحمد بن حمدان)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994م. ص70.

وأخرى جاءت في القرآن الكريم لم تعرفها العرب¹، ولا غيرهم من الأمم الأخرى مثل: تسنيم، سلسبيل، غسلين، سحّين، الرقيم، وغير ذلك من المفردات...².

2. مستويات المفردة ومجالها الدلالي في كتاب " الزينة "

1.2. المستوى الأول: الألفاظ الجاهلية:

تمثل الألفاظ الجاهلية نسبة كبيرة من مجموعة مفردات ومصطلحات الزينة، بيد أنّ منها ما تأكّد وروده في الشعر الجاهلي ووقفنا على شواهد، وبعضها الآخر لم تتوفر له هذه الصفة من الوثوق في وروده في الشعر الجاهلي لعدم وقوفنا على شواهد، ولكننا نرجّح جاهلية هذا القسم لوجوده في لسان العرب.

وسنكتفي بالإشارة إلى مجموعة من هذه المفردات الخصب التي تعدّدت معانيها في النص الجاهلي، وتكون معالجتنا لها تبعاً للمجالات الدلالية لها في كتاب الزينة، على النحو الآتي:

• المجال الدلالي الأول: أسماء الله الحسنى:

أسماء الله الحسنى التي ذكرها أبو حاتم الرازي، يقع جلّها تحت هذا القسم الذي تأكّد وروده في الشعر الجاهلي، إلا أنّ دلالات هذه الأسماء الحسنى في النص الجاهلي تختلف عن معانيها الدنيوية المشهورة. فأغلب هذه الأسماء في الشعر الجاهلي كانت صفات بشرية يمدح بها الممدوحون مثل:

(الماجد)

يقول النابغة:

لَهُمْ لَوَاءٌ بِكَفِّي مَاجِدٍ بَطَلٍ لَا يَقَطَعُ انْحِرَاقٌ إِلَّا طَرْفُهُ سَامٌ³

ويقول الأعشى:

عَلَيْهِ سِلَاحُ امْرِئٍ مَاجِدٍ تَمَهَّلَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى إِتَّخَنَ⁴

وأصل (المجد) الكثرة والسعة، هو مأخوذ من قولهم: أمجدت الدابة، إذا كثرت علفها⁵. (الماجد والمجيد) وهما في وزن فاعل وفعيل. وهو مأخوذ من المجد. والمجد الجلالة والعظمة والشرف. وقد يوصف الإنسان بالجد، ويُقال: رجل ماجد ولا يقال مجيد، لأن الماجد هو الذي يفعل المجد بالاكْتِسَاب، والمجيد هو معدن المجد⁶.

¹ - أي لم تكن العرب تعرفها بالمعنى الذي وردت في القرآن مع كونها ألفاظاً عربية.

² - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج1، ص140.

³ - النابغة الذبياني، الديوان، اعتنى به وشرحه، حمدو طمّاس - دار المعرفة - بيروت، لبنان - ص 105.

⁴ - الأعشى الكبير، الديوان، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين - دار النهضة العربية، بيروت 1972 - ص 75.

⁵ - ينظر: الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري)، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1399هـ/1979م، ص53.

⁶ - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص287.

و(المجيد) معناه الشرف التام الكامل، أي الشريف. فله الشرف والمجد والعلو والعظمة في ذاته وصفاته وأفعاله¹. و(الماجد) هو المتناهي في الشرف والسؤدد، وهو "الكثير الشرف". والله تعالى ذكره أجد الأجدين وأكرم الأكرمين².
ومنه (التمجيد)، يقال: فلان يمجد الله أي القول من العبد في تعظيم الله عز وجل، والثناء عليه، كأنه يصفه بأفضل الصفات، وبالعظمة التامة³.
وقيل له عز وجل (ماجد) " لأنه هو الذي يمجد عبده أي يعطيهم الفضل والشرف، ويفعل بهم المجد"⁴، وقيل له (مجيد) " لأنه معدن للمجد التام. تبارك الله المجيد الماجد"⁵.

(المليك، الملك)

يقول النابغة:

وغيَّبَ فِيهِ يَوْمَ رَاحُوا بِخَيْرِهِمْ أَبُو حَجْرٍ ذَاكَ الْمَلِيكَ الْحَلَّاحُ⁶

ويقول أيضا:

إِلَى مَلِكٍ أَحَابِيهِ بُوْدِي فَأَمَدَحُهُ فَأَرْتَجِعُ النَّجَاحَ⁷

يقول الزجاج (ت 311هـ): " أصل (المَلِك) في الكلام الربط والشد؛ يُقال: مَلَكْتُ العَجِينَ أَمَلِكُهُ مَلَكًا، إِذَا شَدَدْتَ عَجَنَهُ. و(المَلِكُ) عند أصحاب المعاني: التَّفَادُ الأَمْرُ فِي مُلْكِهِ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ يَنْفَعُ أَمْرَهُ، وَتَصَرَّفَهُ فِيمَا يَمْلِكُهُ. ف (المَلِكُ) أَعَمٌّ مِنْ (المَالِكِ)، وَاللَّهُ تَعَالَى، مَلِكُ المَالِكِينَ كُلِّهِمْ. وَالمَلَأُ، إِنَّمَا اسْتِفَادُوا التَّصَرَّفَ فِي أَمَلَاكِهِمْ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى"⁸.
وفي كتاب الزينة (مَلِكٌ وَمَالِكٌ وَمَلِيكٌ)، قَدْ جَاءَ بِهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ المَلِكِ وَالمَلِكِ. وَيُوصَفُ بِهَا المَخْلُوقُ أَيْضًا، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَلِكٌ وَمَالِكٌ وَمَلِيكٌ⁹. و(المَالِكِ) اسْمُ الفَاعِلِ مِنَ مَلَكٌ يَمْلِكُ فَهُوَ مَالِكٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالِكُ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَمُصَرَّفُهَا عَلَى إِرَادَتِهِ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ. و(المَلِكُ) مِنْ حَيْثُ المَعْنَى، فَتَأْوِيلُهُ هُوَ ذُو المُلْكِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، وَيَوْمَ الدِّينِ هُوَ يَوْمُ الجَزَاءِ وَالحِسَابِ، فَوْصَفَ

¹ - فخر الدين الرازي، لوامع البيانات شرح أسماء الله تعالى والصفات، قدم له عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، ص288.

² - الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص53.

³ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص288.

⁴ - المصدر السابق، ص288.

⁵ - المصدر السابق، ص288.

⁶ - النابغة الذبياني، الديوان، ص91.

⁷ - المرجع السابق، ص29.

⁸ - الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص30.

⁹ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص269.

نفسه عز وجلّ بأنّه المَلِكُ يوم لا مَلِكَ سواه، ولا يدعي المَلِكُ معه أحد¹. وأمّا صاحب " الزينة " (المَلِكُ والمَلِيكُ) من حيث المعنى واحد،

واحد، وقد استدل في ذلك ببيتين من الشعر، أولهما لعبد الله بن الزَّعْرِيّ يمدح فيه رسول الله ﷺ يقول:
يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ²

وثانيهما لطرفة بن العبد:

مَلِكُ النَّهَارِ وَلَعْبُهُ بِفُحُولَةٍ يعلونه بالليل علو الأتيس³

ويذكر أيضا أنّ (مَلِكٌ ومَالِكٌ) قد قرئ بهما جميعاً⁴.

لفظ الجلالة (الله)

إنّ استعمال النَّص الجاهلي لفظ الجلالة (الله)، و(الرحمن)، كان مطابقاً لاستعمالهما الإسلامي. فقد ورد لفظ الجلالة (الله) عند النابغة، وعند الأعشى أكثر من مرة، من ذلك قول النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْهَرِّ مَذْهَبٌ⁵

وقول الأعشى:

وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَمَّ دَأَّ حَسَبًا وَأَرَى بِهَا⁶

ذكر الزجاج أنّ لفظ الجلالة (الله) من حيث اللفظ على قولين: أحدهما: أنّ أصله: (إلاه): فِعَالٌ، وثانيهما: أنّ أصله (لاة): فَعَلٌ⁷. ويبيّن الرازي أنّ لفظ الجلالة (الله) اسم دلّ على الانفراد ممنوع من الخلق أجمعين، ولم يوجد لشيء من الأشياء، مستولٍ على الأسماء كلها - أي الله عز وجلّ - وإليه تُنسب الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الأعراف/ 180. وتُسمّى الناس بسائر الأسماء، ولم يتسموا بهذا الاسم الواحد، وهو الله⁸.

أما من حيث المعنى، يقول الزجاج: " ومعنى قولنا: (إلاه)، إنّما هو الذي يستحق العبادة، وهو تعالى المستحق لها دون من سواه"⁹.

¹ - ينظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تح د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ص43.

² - عبد الله بن الزَّعْرِيّ، الديوان، تح د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ/1981م، ص36.

³ - طرفة بن العبد، الديوان، شرح الأعلام الشنتمريّ، تح درية الخطيب و لطفى الصّغّال، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص164.

⁴ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص270.

⁵ - النابغة الذبياني، الديوان، ص19.

⁶ - الأعشى الكبير، الديوان، ص75.

⁷ - ينظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص25.

⁸ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص178.

⁹ - ينظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص25.

وقد اتضح أنّ لفظ الجلالة (الله) أصله (إلاه): " فالألف فيه من سنخ الكلمة. فلما أدخلت ألف المعرفة على (إله) سقطت الألف الأصلية، وتركت الهمزة لكثرة ما يجري على ألسنتهم، وأدغمت لام المعرفة في اللام التي لقيتها وفُخِّمت وأشبعحت حتى أطبق اللسان بالحنك لفخامة ذكره تبارك وتعالى، ثمّ صارت الألف واللام فيه كأشبه من سنخ الكلمة فقليل: الله. وكان الاسم مخصوصاً له جلّ ذكره"¹. إنّ كلمة (الله) وردت كثيراً في أشعار العرب قبل نزول القرآن الكريم، وهذا دليل على أنّها مألوفة تجري على ألسنتهم جريانا طبيعياً، وأنّها قديمة الاستعمال. كما وردت في غير ذلك من أقوال الشعراء، وفي النثر الجاهلي كثيراً. إنّها أشهر مصطلح إسلامي استعملت في القرآن الكريم بالمعنى الذي حملته في الشعر الجاهلي نفسه.

(الرحمن الرحيم)

من أسماء الله الحسنى، وكلاهما مشتق من الرّحمة. ولكنّ الفرق بينهما، أمر شغل بال العلماء والمفسرين. فقال بعضهم أنّ (الرحمن) اسم و(الرحيم) صفة بدليل قول ابن دريد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه أنّه قال: الرحمن اسم لله تبارك وتعالى لا يدعى به غيره، والرحيم صفة. لأنّ العرب تقول كن بي رحيماً ولم تقل كن بي رحماناً. وفي القرآن الكريم دليل على هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الإسراء/ 110 فالله اسم ليس لأحد فيه شركة وكذلك (الرحمن)². أورد صاحب الكشاف أنّ في (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم)، ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا³. ثمّ يمضي بعد رأيه هذا في تعليل سبب تقدّم (الرحمن) على (الرحيم)، والقياس - كما يراه الزمخشري (ت538هـ) - الترتيبي من الأدنى إلى الأعلى، قال: "لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة، والرديف ليتناول ما دق فيها ولطف"⁴. فواضح ممّا سبق أنّه لم يقدّم شيئاً جديداً، خاصة وأنّ الجملة الأخيرة تفيد أنّ في (الرحيم) صفات دقيقة ولطيفة ليست في (الرحمن). وقيل: "إنّه قال: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، و(الرحمن) اسم خاص، و(الرحيم) اسم عام، فلذلك قدّم (الرحمن) على (الرحيم) فقليل: بسم الله الرحمن الرحيم. ولذلك أيضاً قيل: رجل رحيم، ولم يقل رحمن"⁵. و(الرحمن) لم تفهم العرب معناه، ومدلول هذه الصفة لم تدركه عقولهم، ومن هنا كانت هذه الصفة من غريب القرآن الكريم، ومن ثمّ قال الرازي: "قال أبو عبيدة في تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الفرقان/60، قال: ذكروا أنّ مسيلمة الكذاب كان يُقال له: الرّحمن، فقالوا: ما نعرف الرحمن إلّا الذي باليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الإسراء/ 110"⁶.

¹ - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص179.

² - ينظر: ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسين)، جمهرة اللغة، تح د. روزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص524/523.

³ - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، تفسير الكشاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، تح د. خليل مأمون شبيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط، 1430هـ/2009م، ص26.

⁴ - المصدر السابق، ص27.

⁵ - أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص40.

⁶ - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص193.

وقال الزجاج: "الرحمن اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، مذکور في الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله"¹. فقوله: " ولم يكونوا يعرفونه"، لا ندري مَنْ هم المعنيون بعدم معرفة اسم الرحمن، أهم أصحاب الكتب السابقة؟ أم هم أهل العصر الجاهلي؟.

ومع ذلك، فقد وردت أشعار كثيرة عنهم ورد فيها ذكر (الرحمن) منها: قول سلامة بن جندل:

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا حَجَّتَيْنِ عَلَيْكُمْ وَمَا يَشَاءُ الرَّحْمَنُ يَعْقُدُ وَيُطَلِّقُ²

ومنها قول: الأعشى:

وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ بَيْتَكَ فِي الْعَلَا بِأَجْيَادِ غَرِي الصِّفَا وَالْمَحْرَمِ³

ويرى أبو حاتم أنه قيل لله عزّ وجلّ (رحمن)، لأنه يملك الرحمة، ويقدر يقدر على كشف الضّرّ، ويلجأ إليه برحمته، وهذا نعت لله عزّ وجلّ⁴. كما بيّن صاحب "الزينة" أنه لم يُجْزَأْ أَنْ يُقَالَ لِلْمَخْلُوقِ (رحمن)، لأنه لا يقدر كقدرته، فرمّا رقّاً بالرحمة، ولكنه لم يقدر على كشف الضّرّ عن المضروب، فقيل له (رحيم)، ولا يُقَالُ له (رحمن). ف(رحيم) القلب يرحم صاحب البلاء، ولا يقدر على دفع الضّرّ، فلا يُقَالُ له (رحمن) لذلك⁵.

(الرّب)

كذلك كان المعنى الديني، أحد استخدامات كلمة (رب) في الشعر الجاهلي دلالة على الذات الإلهية. يقول النابغة:

سَيَبْلُغُ عُدْرًا أَوْ نَجَاحًا مِنْ أَمْرِيءِ إِلَى رَبِّهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ رَاكِعٌ⁶

ويقول الأعشى:

وَرَبِّكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ إِنَّ شِرْكَهُ يَحُطُّ مِنَ الْخَيْرَاتِ تِلْكَ الْبَوَاقِيَا⁷

و يقول زهير:

وَأَلَّا السَّمَاءَ وَالْبِلَادَ وَرَبَّنَا وَأَيَّامَنَا مَعْدُودَةً وَاللَّيَالِي⁸

واستعملت كلمة (رب) أيضاً بمعنى (السّيّد والملك)، يُقَالُ الرَّبُّ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لغير الله؛ وقد قالوه في الجاهلية للملِك. قال الحارث بن حلزة:

هُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بِلَاءٌ¹

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج12، ص231.

² - سلامة بن جندل، الديوان، تح راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، ص43، وينظر: الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك)، الأصمعيات، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، لبنان، ط5، ص136.

³ - الأعشى الكبير، الديوان، ص173.

⁴ - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص190.

⁵ - ينظر: المصدر السابق، ص191.

⁶ - النابغة الذبياني، الديوان، ص65.

⁷ - الأعشى الكبير، الديوان، ص379.

⁸ - زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح أبي العباس ثعلب، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص288.

جاء في شرح هذا البيت: وهو المَلِكُ، والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء، أي قد بلغ الغاية، يريد عمرو بن هند، فإنه شهد عنائهم هذا². والرَّبُّ في هذا الموضع السَّيِّدُ³.

و جاء في شعر لبيد:

وَأَهْلَكَنَّ يَوْمًا رَبًّا كَنَدَةً وَابْنَهُ
وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَزْرٍ⁴

ولأبي حاتم عدة آراء في كلمة (الرَّبُّ)، منها: الرَّبُّ هو (المالك)، وقد استدللَّ على ذلك من كلام العرب، ثم من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾. يوسف/50. ورأي المفسرين وهو: في معنى سيدك ومالك، ورأي أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يوسف/42، أنه في معنى سيدك ومولوك من بني آدم. و(الرَّبُّ) عند أبي حاتم أيضا في معنى (السَّيِّدُ) واستدلَّ على ذلك بقول العرب: (رَبُّ الدار، ورب القوم)، أي: رئيسهم وسيدهم. ومما استدللَّ به من الشعر، قول الأعشى⁵:

وَأَهْلَكَنَّ يَوْمًا رَبًّا كَنَدَةً وَابْنَهُ
وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَزْرٍ⁶
وَأَعْوَضَنَ بِالذُّومِي مِنْ رَأْسِ حَصْنِهِ
وَأَنْزَلَنَ بِالْأَسْبَابِ رَبَّ الْمَشَقَّرِ

ويرى أنَّ (الرَّبُّ) إذا جاءت معرفة من غير إضافة، فهي تختص بالله تعالى؛ إذ إنها تعطي صفة العمومية في الربوبية له عزَّ وجلَّ. فإذا قيل: (الرَّبُّ) معرفة بالألف واللام، دلَّت الألف واللام على العموم، واستغنى بذلك عن الإضافة، لأنه عزَّ وجلَّ ربُّ كلِّ شيء ومالِكُه، فلا يُضاف إلى شيء فيختصَّ به دون غيره. وإذا قيل للمخلوق، أُضيف إليه شيء خاص دون غيره لأنه لا يملك غيره، فقيل: رَبُّ الدَّارِ، وَرَبُّ القوم: أي رئيسهم وسيدهم. وهو مشهور - كما أسلفنا القول - في كلام العرب⁷... وإنما قيل لله عزَّ وجلَّ (الرَّبُّ)، لأنه مالِك كلِّ شيء ومُدبِّرُه والقائم عليه، وهو عزَّ وجلَّ رَبُّ الأرباب ومالِك الملوك وما مَلَكَت⁸.

(الْوَاهِبُ، الوَهَّابُ)

ومن الاستخدامات الخاصة لبعض أسماء الله الحسنى في النَّصِّ الجاهلي، استخدام لفظ (الْوَاهِبُ)، التي جاء معناها في الغالب مدحاً للكرام من البشر، خاصة الجواد منهم بالإبل أو الخيل. يقول النابغة:

الْوَاهِبُ الْمَائَةِ الْمُعْكَاءِ زَيْنًا
سَعْدَانُ تُوَضِّحُ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدُ⁹

1 - الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين)، شرح المعلقات العشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 283.

2 - ينظر: المرجع السابق، هامش ص 283، وينظر:

3 - ينظر: التبريزي (الإمام الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح القصائد العشر، إدارة الطباعة المنيرية، د ط، د ت، ص 267.

4 - لبيد بن ربيعة، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 71. (رَبُّ كَنَدَةً: هو حجر أبو امرئ القيس الشاعر، رَبُّ مَعَدًّا: حُدَيْقَةُ بن بدر، الحَبْتُ: المستوي من الأرض، العرعر: جنس من الأشجار).

5 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 195، 196.

6 - الأبيات ليست في ديوان الأعشى، وإنما هي في ديوان لبيد بن ربيعة، المرجع السابق، ص 71.

7 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 195.

8 - ينظر: المصدر السابق، ص 198.

9 - النابغة الذبياني، الديوان، ص 35. (المعكاء: الغلاظ الشداد، سعدان: نوع من النبات تُسمن عليها الإبل وتقتات، توضح: اسم لموضع معروف، اللَّبْدُ: كلُّ ما تلبَّد من الوب).

وقال أيضاً:

أبلغ لديك أبا قابوس مألِكَةً الوَاهِبَ الخيلَ والقَيْنَاتِ والنَّعْمَا¹

و قال الأعشى:

الوَاهِبُ المائَةِ الهِجَانِ وَعَبْدَهَا عُوذا تُرْجَى خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا²

و قال أيضاً:

هو الوَاهِبُ المائَةِ المِصْطَفَا كالنخلِ طَافَ بِهَا المُجْتَرِمُ³

يقول أبو حاتم: "ومن صفاته عز وجلّ (الوَهَاب) و(الواهب)، فهو الذي لم يبخل على خلقه، فوهب لكل ما يحتاج إليه، والوَهَاب؛ لأنّ من شأنه الهبة، فخلق الخلق كلّ ووهب بعضه إلى بعض، ولم يبخل بشيء منه فيحبسه؛ لأنّه غني عنه..."⁴. وفعل في كلام العرب للمبالغة، فالله عز وجلّ وهب وهاب يهب لعباده واحدا بعد واحد ويُعطيهم، فجاءت الصفة على فعال لكثرة ذلك وتردده. والهبة: الإعطاء تفضلاً وابتداء من غير استحقاق، ولا مكافأة⁵، والله هو (وَهَاب) الهبات كلّها، عطاياه لا تُحصى، وهو يوجد على مَنْ لا يسأله، ويُعطي مَنْ لا يستوجب، وهو يهبّ بلا مقدار لغناه عنها. فهو (الواهب) الذي لا يبخل على خلقه، (الوَهَاب) الذي يهبّ كثيرا، الجواد الذي لا تُحصى عطاياه، الغني عن الأشياء كلّها. تبارك الله وتعالى⁶.

(الجَبَّار)

ومن هذا القبيل استعمال لفظ (الجَبَّار) بدلالات مختلفة:

أولها: الدلالة المادية؛ فالجَبَّار من النخل - في كلام العرب - طولها، النخل الذي طال وفات اليد. يُقال: نخلة جبارة إذا طالت فلم يقدر المتناول أن يبلغ أعلاها. و قد استدللّ صاحب "الزينة" على ذلك بشعر جاهلي، ومنه قول امرئ القيس⁷:

سوا مقَ جَبَّارٍ، أثيثِ فروعه وعالينِ قنوانا من البسر أحمر⁸

و يقول الأعشى:

تَرى الأُدمَ كالجَبَّارِ والجُردَ كالثَّنَا موهبةً من طَرفٍ ومُتَلدٍ¹

1 - المرجع السابق، ص99.

2 - الأعشى الكبير، الديوان، ص79.

3 - المرجع السابق، ص89.

4 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص279.

5 - أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، ص126.

6 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص279.

7 - ينظر: المصدر السابق، ص250.

8 - امرؤ القيس، الديوان، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ/2004م، ص93. سوامق: عاليات، الأثيث:

الملتف بعضه على بعض، البُسر: ما احمرّ من التمر.

ثانيها: بمعنى العظيم المتكبر الطويل من الناس، " إذا تكبر على الناس واحتجب، فلم يُوصل إليه في ظلامته، ولم يُكلم هيباً له؛ فيقع في سلطانه الخبط والظل...² ". يقول المتلمس:

وَكَا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقْنَأَ لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا³

واستدل أبو حاتم على ذلك بقول المفسرين في بعض الآيات ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ المائدة/22، إثم قوم عاد⁴.

ثالثها: المعنى الدال على الله سبحانه وتعالى. وقد ورد في قول كعب بن زهير:

وَالْبَاذِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيِّمَ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَقُبَةَ الْجَبَّارِ⁵

وسمى الله نفسه عزّ وجلّ (جباراً)، لأنه ارتفع عن أن يدركه أحد بحدّ أو صفة، فلا يقدر مظلوم أن يرفع إليه ظلّامته ويتظلم من ظالم في الدنيا، بل أحرّ الحكم بين عباده ليوم الحساب والجزاء. فهو (الجبار) على الحقيقة، الذي فات أيدي المتناولين، وهو (الجبار) الذي جبر الخلاق فنعشهم⁶. وهذا الاسم في حقّ الله سبحانه وتعالى يفيد أنه سبحانه وتعالى بحيث لا تناله الأفكار، ولا تحيط به الأبصار⁷.

● المجال الدلالي الثاني: ألفاظ عالم الغيب:

وإذا انتقلنا إلى المجال الثاني، الذي تدور ألفاظه حول عالم الغيب، لوجدنا أغلبها قد ورد ذكره في النص الجاهلي. من هذا مثلاً لفظة:

(القلم)

يقول معاوية بن مالك:

مِنَ الْأَجْزَاعِ أَسْفَلَ مِنْ نَمِيلٍ كَمَا رَجَعَتْ بِالْقَلَمِ الْكِتَابَا⁸

وهو في هذا البيت الأداة التي يُكْتَبُ بها، إذ لم يكن الجاهليون يعرفون القلم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وتأويلات المفسرين له المختلفة.

وأصله القصّ من الشيء الصُّلب كالظفر، وكعب الرمح والقصب، ويُقال للمقلوم قَلَمٌ كما يُقال للمنقوض نَقْضٌ. وخصّ ذلك بما يُكْتَبُ به وجمعه أقلام¹. أمّا من حيث اشتقاقه في اللغة، فإنه يُقال: قلمته، أي قَطَعْتُهُ وهيأتُهُ من جوانبه وسَوَّيْتُهُ وَبَرَيْتُهُ².

¹ - الأعشى الكبير، الديوان، ص243.

² - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص250.

³ - الأصبغي (أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك)، الأصبغيات، ص245.

⁴ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص251.

⁵ - كعب بن زهير، الديوان، تح د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، د ت، ص59. (قُبَةُ الْجَبَّارِ: الكعبة. أي: يبدلون نفوسهم رهينة لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم، وبيت الله الحرام).

⁶ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص253.

⁷ - ينظر: فخر الدين الرازي، لوامع البيانات شرح أسماء الله تعالى والصفات، ص206.

⁸ - الأصبغيات، ص213.

ومن حيث المعنى، يبيّن صاحب "الزينة" أنّ (القلم) في كلام العرب هو القِدْحُ والسَّهْمُ الذي يُتَسَاهَمُ به. والأفلام السهام تُجَالُ على الشيء الذي يُقَسَمُ³. ويُقال: إنّ الإقليم أُحْدً من ذلك، وأنّ الأرض سبعة أقاليم، أي سبعة أسهم. فأقليم إفعال من القلم⁴، وذلك أنّ الدنيا مقسومة على سبعة أسهم على تقدير أصحاب الهيئة⁵.

وردت عدة روايات في كتاب الزينة توضّح معنى القلم في العقيدة الإسلامية، ومن هذه الروايات عن النبي ﷺ التي ترى أنّ القلم أحد المراتب أو الوسائل التي يأخذ النبي ﷺ الوحي عن طريقها، ومنها أنه خلق قبل العرش. وأقوال عن بعض الحكماء، وغير ذلك من الروايات التي تعدّ القلم من الغيبات، ولا نعرف منه سوى علاقته بالعلم والتعليم، وأنّ الله سبحانه وتعالى علّم به الإنسان، وذلك من قوله تعالى: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ العلق/4.

لذلك نجد أبا حاتم الرازي يقول: "وقد زوي في القلم حديث كثير وأخبار كثيرة، فأما القلم الذي خلقه الله قبل كلّ شيء، فالله أعلم بكيفيته، وليس لنا أن نقول فيه إلا ما زوي"⁶.

(العرش)

وكلمة (العرش) كانت تُطلَقُ في النّص الجاهلي على (المملك) كما جاء في قول زهير:

تَدَارَكْتُمَا الْأَحْلَافَ قَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا وَذِيَانًا قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ⁷

والعرش في اللغة مصدر الفعل عَرَشَ. يقال عرش الشيء يعرّشه و يعرّشه عرشاً بمعنى عمله⁸، ولكنّ هذا المعنى انتقل في استعمال الناس، فصارت كلمة العرش تحمل عدّة معان منها البيت، وسقف البيت، والخشبة التي تدخل في صنع العرش⁹. والعرش أيضاً بناء مربع من خشب توضع فوقه بعض أغصان الأشجار وجريد النخل، وقد يحمل من مكان إلى آخر يستظلّ به الإنسان من حرّ الشمس. وفي حديث معركة بدر أنّ النبي ﷺ كان قائماً في عريش يدعو الله عزّ وجلّ. وكان العرب يعرشون الآبار بالخشب بعد أن يطوى موضع الماء بالحجارة¹⁰. تُبنى هذه الأحشاب على رأس فم البئر يقوم عليه السّاقى، فإذا نُزعت القوائم سقطت العروش. قال القطاميّ غَمِيرُ بْنُ شَيْبَةَ:

- 1 - ينظر: الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت، ص 532.
- 2 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 325.
- 3 - ينظر: المصدر السابق، ص 325.
- 4 - ينظر: المصدر السابق، ص 326.
- 5 - ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 532.
- 6 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 324.
- 7 - زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص 50.
- 8 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ر ش)، ص 2881.
- 9 - عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ص 452.
- 10 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ر ش)، ص 2881.

وَمَا لِمَثَابَاتِ الْعُرُوشِ بَقِيَّةٌ إِذَا اسْتُلَّ مِنْ تَحْتِ الْعُرُوشِ الدَّعَائِمُ¹

ومن هذا المعنى اللغوي، تطوّرت للعرش عدّة معانٍ عن طريق المجاز، فصاروا يسمّون سرير الملك عرشاً، ثمّ صارت الكلمة تحمل الدلالات التي تتعلّق بسرير الملك من قوّة، وعزّة، وسلطان. وبهذا المعنى خاطب عدّي بن زيد النعمان قائلاً:

لَوْ هَلَكْتَ تَرَكْتَ النَّاسَ فِي وَهْلٍ بَعْدَ الْجَمِيعِ وَصَارَ الْعَرْشُ أَكْسَاراً²

وعرش الرّجل قوام أمره. ومن هذا المعنى قولهم: «ثُلَّ عَرْشُ فُلَانٍ»⁽¹⁾ أي اهدم بناؤه، وذهبت قوّته. قال أوس بن حجر يرثي رجلاً:

لَعَمْرُ مَا قَدَرَ أَجْرِي لِمَصْرَعِهِ لَقَدْ أَخْلَلَ بِعَرْشِي أَيَّ إِخْلَالٍ³

و(العرش) هنا تعني قوّة الإنسان، وعزّته ومكانته. وهكذا يظهر أنّ كلمة (العرش) في العصر الجاهلي، قد حملت المعاني التالية: البيت، سطح البيت، القصر، سرير الملك، الرّجل الكبير الذي به يقوم أمر القبيلة، والملك وقوته وسلطانه⁴.

وفي أواخر العهد الجاهلي، بدأ بعض الشعراء يتوجّهون نحو التفكير الديني والتأمّل في الكون، والتذكّر للشرائع السابقة، فربطوا بين معنى العرش، وتصوّره عن الله عزّ وجلّ أنّه قويّ عزيز، خالق قادر⁵. ويظهر هذا المعنى في قول أميّة بن أبي الصلت، وإن لم يذكر الكلمة صريحة، بل ذكر معناها:

مَجْدُوا اللَّهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيراً⁶
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَسَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيراً
شَرَجَعَا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُوراً

وردت كلمة العرش في القرآن الكريم في خمس وعشرين آية، حملت ثلاثة معانٍ هي:

المعنى اللغوي الأساسي. قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل/68. وقوله: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: ما يجعلونه عروشاً، جمع عريش، وهو مجلس مرتفع على الأرض في الحائط أو الحقل، يتخذ من أعواد وئسقف أعلاه بورق ونحوه، ليكون له ظلّ فيجلس فيه صاحبه مشرفاً على ما حوله.

¹ - المصدر السابق، ص 2881.

² - عدّي بن زيد العبادي، الديوان، تح محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية للنمشر والطبع، بغداد، د ط، 1385هـ/1965م، ص 52. ورد البيت في ديوانه: وَصَارَ الْعَيْشُ إِكْسَاراً: وقد ذكر محقق الديوان في الهامش من الصفحة نفسها: " والتصحیح من الزينة. الزينة: العرش". ينظر أيضاً: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 339.

³ - أوس بن حجر، الديوان، تح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط 2، 1967م، ص 106. (يعني أنّ قوام أمره كان بهذا الرّجل، فأخلّ بذلك موته).

⁴ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص 453.

⁵ - ينظر: المرجع السابق، ص 453.

⁶ - أميّة بن أبي الصلت، الديوان، تح د. سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1998 م، ص 71، 70. (الشرح: العالي المنيف، الصور: جمع أصور، وهو المائل العنق لثقل حملة).

يُقَالُ: عَرَشَ، إِذَا بَنَى وَرَفَعَ، وَمِنْهُ سُمِّيَ السَّرِيرُ الَّذِي يَرْتَفَعُ عَنِ الْأَرْضِ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ الْعِظَمَاءُ عَرَشًا. وَتَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ الأنعام/141، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ الأعراف/137¹.

والمعنى الثاني للملك، والقوة، والعزة، وسرير الملك، وهو المعنى المعروف في العصر الجاهلي. قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ يوسف/100. والعرش: سرير للقعود، فيكون مرتفعا على سوق، وفيه سعة تمكن الجالس من الاتكاء². وقوله أيضا: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ النمل/23. جاء في التحرير والتنوير أنه حُصِّنَ من نفائس الأشياء عرشها، إذ كان عرشا بديعا ولم يكن لسليمان مثله. والعظيم: مستعمل في عظمة القدر، والتفاسه في ضخامة الهيكل والذات³، وفي كبره وقوته وحسنه، فقد أعطيت تلك الملكة كل ما تحتاج إليه في نظام ملكها وعظمتها، ومن مظاهر تلك العظمة السرير العظيم الذي تجلس عليه بين أهل مملكتها⁴.

أما المعنى الثالث، فهو نسبة العرش إلى الله عز وجل، ويفهم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون/116. فالتعالي: مبالغة في العلو. وأتبع ذلك بما هو دليل عليه وهو انفراده بالإلهية، وذلك وصف ذاتي، وبأنه مالك أعظم المخلوقات، أعني العرش وذلك دليل عظمة القدرة⁵. وقوله تعالى: ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾ الحاقة/17. معنى الآية أن الملائكة يعملون في نواحي السماء، ينقذون إنزال أهل الجنة بالجنة، وسوق أهل النار إلى النار. وعرش الرب: اسم لما يحيط بالسموات وهو أعظم من السموات... وهذا من أحوال الغيب التي لا يتعلق الغرض بتفصيلها، إذ المقصود من الآية تمثيل عظمة الله تعالى وتقريب ذلك إلى الأفهام⁶.

وختم صاحب "الزينة" حديثه حول (العرش) بقوله: "هذا ما جاء في العرش من لغة العرب، وروى في ذلك حديث كثير. وتأول الناس في عرش الله تأويلات كثيرة بأرائهم، ورووا في ذلك حديثا كثيرا. ولا يعلم كيفية العرش إلا الله عز وجل، ومن أتاه الله علم ذلك من رسله ومن ارتضاه من خلقه"⁷.

(الملائكة)

كان يقصد بهم من يحملون الرسائل، إذ هو في أصل معناه من الملائكة أي الرسالة، ومن هنا أُطْلِقَ اللَّفْظُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الرِّسَالَاتِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ.

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د ط، 1984م، ج14، ص207.

² - ينظر: المرجع السابق، ج13، ص56.

³ - ينظر: المرجع السابق، ج19، ص253.

⁴ - ينظر: عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، ج2، ص237، 238.

⁵ - ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج18، ص135.

⁶ - ينظر: المرجع السابق، ج29، ص127، 128.

⁷ - أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص341.

ويُفسر صاحب "الزينة" بأنهم هم الرسل، وكأنّ الملائكة مأخوذ من المألَكة، وهي الرسالة، لأنّ الله عزّ وجلّ أرسل الملائكة على الأنبياء بالرسالة. ويكون معنى الملائكة الرسل، وهذا وصفهم الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج/75. والله عزّ وجلّ يوحّي إلى الملّك والملّك يوحّي إلى النّبي¹.

وقد وردت الكلمة في شعر أمية ابن أبي الصلت في قوله:

وَكأنَّ بَرَقَعَ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدِرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أُجْرَدُ²

وقد اشتقت كلمة (ملّك) من أصل غير الذي اشتقت منه كلمة (ملّك)، فالملائكة سُمّوا بذلك، لأنّ الله خلقهم ووكل كلّ ملّكٍ منهم بأمرٍ من الأمور، واستحفظه واسترعاه، وجعل تديره إليه ومُلكه منه؛ فسُمّي ملّكاً، وفتحت اللام منه فرقاً بينه وبين الملّك البشريّ، فقليل للبشريّ ملّك، وللروحيّ ملّك³.

فالمملّك بكسر اللام من ملّكهُ يملّكهُ مُلْكاً ومُلْكاً ومُلْكاً. وقد فسره ابن سيده بأنّه احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به⁴. وأمّا المملّك بفتح اللام فهو من ألك بين القوم إذا ترسّل بينهم ألكاً وألوكاً. والاسم منه الألوّك وهو الرسالة. وكذلك الألوّكة والمألّكة، والمألّك. فإنّ نَقَلْتُهُ بالهمزة قُلْتَ أَلَكْتُهُ إليه رسالة، والأصلُ أَلَكْتُهُ فَأَخْرَجْتَ الهمزة بعد اللام وحَقَقْتَ بنقل حركتها على ما قبلها، وحذفها. فإنّ أمرت من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت ألكني⁵. ومنه قول عمرو بن شأس الأسدي:

أَلِكْنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً بَايَةَ مَا كَانُوا ضِعَافاً وَلَا عُرْلاً⁶

ذكر الرازي أنّ الملائكة الذين أكلوا بالأعمال والسيئات، أمّهم خلق من خلق الله عزّ وجلّ، روحانيّ على ما دلّت عليه رواية العلماء، وعلى ما دلّت عليه اللغة مأخوذ من المألَكة وهي الرسالة⁷.

• المجال الدلالي الثالث: ألفاظ اليوم الآخر:

من كلمات المجال الدلالي الثالث الجاهليّة كلمة:

(الجَنَّة)

وهي في كلام العرب البستان والنخل. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ القلم/17. قال المفسرون⁸: أصحاب النخل. والدليل على ذلك قول الله تعالى في نفس سياق الآية: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾. والجِدَاد والصَّرَام في النخل، مثل الحِصَاد في الزرع، والقِطَاف في العنب، والاجْتِنَاء في الثمار¹.

¹ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 345.

² - أمية بن أبي الصلت، الديوان، ص 53.

³ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 349.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (م ل ك)، ص 4267.

⁵ - المصدر السابق، مادة (أ ل ك)، ص 111.

⁶ - عمرو بن شأس الأسدي، الديوان، د. يحي الجبوري، دار القلم، الكويت، 1403هـ/1983م، ط 2، ص 72.

⁷ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج 2، ص 348.

⁸ - ينظر: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن، تح د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الرسالة، 1427هـ/2006م، ط 1، ج 21، ص 160.

قال امرؤ القيس:

أَطَافَتْ بِهِ جَيْلَانٌ عِنْدَ صِرَامِهِ تَرَدَّدُ فِيهِ الْعَيْنُ حَتَّى تَحْيِرًا²

قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ البقرة/265، وقال: ﴿أَيَوُدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ البقرة/266، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ سبأ/15، وقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ الكهف/32، وقال: ﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَمَ تَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ الكهف/33، وقال: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ الكهف/35، وقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الكهف/39، وقال: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ الإسراء/91. فهذه كلها في معنى البستان والنخل³. قال امرؤ القيس:

عَلَوَانَ بِأَنْطَاكِيَةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ كَجَرْمَةٍ نُخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَّشْرِبُ⁴

لقد ذهب أصحاب المعاجم والمفسرون إلى أن الجنة في الأصل، مأخوذة من الستر والتغطية، من جنة يجنُّه إذا غطاه وستره. قال الزمخشري: "أخذ معنى الجنة من الستر. وكأَنَّها لتكاتفها وتظليلها سميت جنة التي هي المرة من مصدر جنة إذا ستره، كأَنَّها سترة واحدة لفرط التفافها"⁵، ولأنَّها ثواب ادَّخره الله لأوليائه وأهل طاعته، وهو مستور عنهم، وهو مأخوذ من أجنَّ الشيء إذا ستره. وبذلك أخبر الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة/17 فكانَّ الجنة مأخوذة من الاجتنان والستر. قال: وسمي البستان أيضا جنة، لأنَّه قد أحيط به وستر ما فيه عن الأعين⁶.

ويبدو أن أصل كلمة الجنة في معنى البستان، هو من الاجتنان وهو التستر والحفاء، وذلك كما قيل: لأنَّه مستور بالشجر ومخفي به، وتشبيها به قيل: الجنة لما هو في معنى الثواب في الآخرة. ونرى أن أصل تخصيص تسمية الجنة لمعنى الثواب في الآخرة، هو تشبيه بجنة الدنيا - أي: البساتين - أو استعارة منها.

والجدير بالذكر أن الجنة وهي مصطلح إسلامي شهير، ليس مصطلحا جديدا في الاستعمال القرآني، لأنَّه ورد بالمعنى الذي عرف به في العصر الجاهلي.

هذا العرض للكلمات الجاهلية إنما قصدنا به أنَّها كلمات وجدت بألفاظها وصيغها التي أوردها صاحب الزينة في الشعر الجاهلي. وقد كان من هدفنا أن نوضح دلالات هذه الكلمات في الجاهلية، والتي تقارب أحيانا معانيها في العصر الإسلامي، لِمَا اعتورها من تطور دلالي.

1 - ينظر: المصدر السابق، ص379.

2 - امرؤ القيس، الديوان، ص94. (جيلان: عُمال كسرى، عند صرامه: وقت قِطَاع النخل).

3 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص380.

4 - امرؤ القيس، الديوان، ص74. (العقمة: ضرب من الوشي، الجرمة: ما صُرِمَ من النخل وألقي في الأرض).

5 - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، تفسير الكشاف، ص62.

6 - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص382. أحمد بن فارس (أبو الحسين)، معجم المقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، 1392هـ/1972م، ج1، ص421. الرازي (أبو بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، رتبته محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 2009م، ص57.

2.2 المستوى الثاني: الألفاظ الإسلامية:

نعني بها تلك الألفاظ التي استحدثها القرآن الكريم، والتي عرفت العرب أصولها وموادها إلا أن النص القرآني قد خلج عليها دلالات جديدة ذاعت وانتشرت وتُنوَّسِيَتْ معها دلالاتها الجاهليَّة.

ونقتصر في ذلك على بعض الألفاظ القرآنية حسب مجالاتها الدلالية في كتاب الزينة وهي:

● المجال الدلالي الأول: ألفاظ عالم الغيب:

يضمّ لفظين: أوْلهُمَا:

(الكرسي)

هذه المادة ذكرتها¹ معاجم اللغة بشكل موجز. ففي لسان العرب وردت أنّها من تَكَرَّسَ الشيء وتَكَرَّسَ بمعنى تَرَآكَم وتَلَازَب. وتَكَرَّسَ أَسُّ البناءِ صَلَبٌ واشتدَّ².

وجاء في مختار الصحاح: الكرسيُّ واحدُ الكرسيِّ، وربما قالوا: كِرْسِيٌّ بالكسر. والكرْأَسَةُ واحدةُ الكرْأَسِ والكرْأَرِسِ والكرْأَرِسِ³. أمّا في كتاب " الزينة " ⁴، فقد أورد صاحبه عدة آراء في (الكرسي):

الأول: أنّ جميع ما خلق الله في (الكرسي)، وهذا الرأي عن جعفر بن محمد، في تأويله لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ البقرة/255، وروى أبو حاتم عن الإنجيل: أنّ السماء كرسي الله.

الثاني: رأي ابن قتيبة: الكرسي هو علم الله، واستدلّ بشاهد لا يُعرف، وهو قول الشاعر:

ما لي بِعِلْمِكَ كُرْسِيٌّ أَكْأَمُهُ وهل يَكُرْسِيُّ علم الله مخلوق⁵

الثالث: الكرسي: الرجل العالم السَّيِّد.

الرابع: الكرسي: الأصل، وهو عن الأصمعي.

الخامس: الكرْأَسَةُ: الكتاب، يقول أبو حاتم: "وقال: الكرْأَسَةُ: الكتاب، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنّه قد جُمِعَ فيها العلمُ" وهذا الرأي

للأصمعي أيضاً، ثم يقول أبو حاتم: "وقال غيره: سُمِّيَتْ كُرْأَسَةُ للأوراق التي جُمِعَتْ بعضها فوق بعض.

ويبدو من خلال ذلك أنّ هذه المعاجم تريد أن تجد سبباً بين هذه الكلمة وبين الأصل العربي لها⁶، في حين، يرى الأستاذ الهمداني محقق كتاب " الزينة "، أنّ هذا الرأي فيه تعسُّفٌ شديد، وأنّه بعيد عن معنى الأصل وعن الصيغ العربية المعروفة⁷. وليؤكّد صحّة ما ذهب

¹ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص455.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك ر س)، ص3854.

³ - الرازي(أبو بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، مادة (ك ر س)، ص234.

⁴ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص330،331،332.

⁵ - لم أقف على صاحب البيت.

⁶ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص456.

⁷ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص330.

إليه، أورد الأستاذ رابياً للدكتور مهدي حسن يرى فيه أنّ هذا اللفظ بمعناه المقعد العظيم أو العرش، دخل قديماً في العربية من الصينية، وأنّ هذا الأصل انتقل إلى اللغات الهندية الأوربية، وإلى اللغات الهندية والفارسية القديمة ثمّ إلى الآرامية، ومن الآرامية أخذته العرب¹.
 والباحث يرى أنّ هذا الرّأي أقرب إلى الصّواب، لأنّ الكلمة لم ترد في شعر العرب بالمعنى الذي أراده القرآن الكريم. ولو كانت كذلك - أي عربية الأصل - لوردت في أشعارهم، كما وردت كلمة (العرش). خاصّة وأنّ الشعر الجاهلي حافل بمدائح الملوك وأوصاف مجالسهم، لما كانوا يشاهدونه في بلاط ملوك الحيرة والغساسنة، ومن وراء قصور الأكاسرة والقيصرية.
 أمّا كتب التفسير فلم تبحث في أصل الكلمة، بل وجمّعت كلّ اهتمامها في تفسير الكلمة²، ومحاولة تعيين المراد منها، خاصّة أنّها تُسبّت إلى الله عز وجل³.

ورد لفظ الكرسيّ في القرآن الكريم مرتين الأولى في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة/255، وقد أوّل بعض العلماء الكرسيّ هنا بالعلم. والثانية هي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ص/34، والكرسيّ هنا، كما أجمعت كتب التفسير هو بمعناه المعروف، وهو المقعد⁴.

ويظهر من خلال هذا العرض السابق، أنّ الكرسيّ أصبح مصطلحاً في القرآن الكريم، له معنى محدّد، وإنّ اختلاف العلماء في تحديد المراد الدقيق له، فهو مصطلح جديد من مصطلحات الغيب، لأنّ العرب قبل نزول القرآن لم يكن عندهم إحساس به، ولا ورد ذكره في أشعارهم بالمفهوم القرآني.

وثاني هذين اللفظين هو:

(إبليس)

واحدٌ من الملائكة وظيفته، ومن الجنّ نسباً وأصلاً، عصى ربّه عزّ وجلّ، فطرده الله من رحمته، وأخرجته من جنّته، وأسكنه هذه الأرض، التي سكنها الإنسان أيضاً، فصار كلّ منهما عدواً للآخر، إلى أن يرث الله الأرض ومنّ عليها⁵.
 جاء في كتاب "الزينة" لأبي حاتم الرازي، أنّ إبليس كان من الملائكة وخرج عن أمر ربه، حسب ما قال بعض أهل التفسير، وذكر بعضهم أنّه من الجن، ثمّ أورد أبو حاتم عدة آراء في أصل كلمة إبليس:
 الأول: إبليس اسم أعجمي؛ لذلك لم يُصرف، وهذا رأي أبي عبيدة.
 الثاني: مُشْتَقٌّ من: أبلَسَ الرجل، إذا انقطع ولم تكن له حجة.

¹ - ينظر: المصدر السابق، ص330.

² - كتفسير أبي السعود، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المطبعة المصرية، الأزهر الشريف، ط1، 1928م، ج1، ص189، وابن كثير (أبو الفداء اسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1970م، ج2، ص424، وحاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، طبعه ونشره عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، د ط، د ت، ج1، ص120.

³ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص456.

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص457.

⁵ - ينظر: المرجع السابق، ص471.

الثالث: هو من (يئس)، والمبلس: اليئس من النجاة القانط، وهذا رأي ابن عباس والفرّاء في تفسيرهما لبعض آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام/44.

والرابع: المنقطع الحجّة الذي لم يُحزّ جواباً، واستدلّ بشعر العجاج:

يا صَاحِ هل تعرفُ رسماً مَكْرَساً¹ قال: نعم أعرفه وأبلساً¹

وهناك آراء عديدة جاءت في (الإبلاس)، يراها أبو حاتم قريبة بعضها من بعض، ومنها: الإبلاس: الاكتئاب، والندم، والخشوع، والفضيحة. والمبلس: المتروك المخدول. فكأنّ إبليس هو مأخوذ من ذلك، لأنّه افتضح بعصيانه، فيئس من رحمة الله، وحزن وندم، فصار مخدولاً متروكاً ذليلاً منقطع الحجّة ساكتاً، فقيل له إبليس².

ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم إحدى عشرة مرّة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة/34، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ الأعراف/11، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر/31، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر/32، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ الإسراء/61، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَسْحَدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف/50، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ طه/116، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ الشعراء/95، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبأ/20، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ص/74، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ص/75.

يرى فريق من العلماء والباحثين، أنّ (إبليس) اسم أعجمي في الأصل، وهذا رأي أبي عبيدة³ من العلماء القدماء، وبعض الباحثين في اللغات من المحدثين يرون أنّ الكلمة دخلت محوّفة من اليونانية (ديابولوس). وجاء في المعجم الكبير أنّ العرب حذفوا (ديا) في أول الكلمة، وتوصلوا للنطق بالسّاكن بزيادة ألف في أوله، وأنّه لم يرد ذكره في المعاجم الآرامية والسريانية. وقد يكون العرب أخذته من اليونانية مباشرة باتّصالهم بنصارى العرب الموالين للكنيسة البيزنطية كما أشار إليه جيفري⁴.

وذهب فريق آخر أنّ الكلمة عربية الأصل مشتقة من أبلس الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجّة⁵. وفي معاجم اللّغة أبلس الرجل: قُطِعَ بِهِ، وأبلس: سكت، وأبلس من رحمة الله: أي يئس وندم ومنه سُمّي إبليس، وسُمّي أيضاً لأنّه أبلس من رحمة الله: أي أويس⁶.

وقد تعرّض الأستاذ العقاد في كتابه "إبليس" لهذه الكلمة وناقش آراء مَنْ زعموا بعجميّةها ثمّ قرّر عروبته في قوله: "ولسنا على يقين من انقطاع الصلة بين الكلمة اليونانية والكلمة العربية. ولكننا على يقين من أنّ شخصية إبليس تحتاج، بل تتوقّف على الدلالة التي تستفيدها من مادة الإبلاس، أي فقد الرجاء. فإنّ ضياع الأمل ألزَمَ صفات إبليس على ألسنة الخاصة والعامة... وقد فرّق هذا المعنى بين

¹ - العجاج، الديوان، تح د عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1416هـ/1995م، د ط، ص156. (وأبلس: أي سكت).

² - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص376.

³ - ينظر: المصدر السابق، ص375.

⁴ - هذه الآراء ساقها محقق كتاب الزينة - ج2 - ص375 - الهامش رقم 02.

⁵ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص375.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب ل س)، ص343.

كلمة إبليس وكلمة الشيطان في ملامح الشخصية. فهذا قد ضيّع الحقّ، وهذا قد ضيّع الرجاء. وكذلك فرّقت بينهما شروح الفقهاء وفرّقت بينهما الدلالة الملمّوحة بين الشيطنة والإبلاس¹.

وأعتقد أنّ الرّأي الثاني هو الأقرب إلى الصّواب لأنّ الأصل في القرآن الكريم أنّه عربيّ اللّسان، بالإضافة إلى أنّ مادة الكلمة واشتقاقاتها وردت في القرآن الكريم، حيث وردت فيه كلمات (يُبليسُ، ومُبليسون، ومُبلسين) في عدّة مواضع وفي سور مختلفة منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الروم/12، وقوله أيضاً: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام/44، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ الروم/49. ومنها أنّ العرب استعملوا هذا المعنى في أشعارهم، فقد ورد في أراجيزهم:

وعرفت يوم الخميس الأحماس وقد نزت بين التراقي الأنفاس
وفي الوجوه صُفرة وإبلاس من يرد الموت وقد هاب الناس²

ومنها أيضاً³ أنّ ما ورد من شعر في هذه الكلمة، وما ورد من آيات القرآن الكريم فيما وُصف إبليس، يتفق في المعنى من حيث دلالة هذه الكلمة على ما كان معروفاً على ألسنة الناس. فإبليس في آيات القرآن الكريم يائس من رحمة الله، ومطرود منها، وقد قُطِعَ به، وأهبط إلى الأرض.

وعليه واستناداً إلى الأسباب السابقة، أرى بعروبة الكلمة واشتقاقها، إذ صارت في المفهوم الإسلامي مصطلحاً شائعاً مشهوراً، وهي من المصطلحات الجديدة التي صنعها القرآن الكريم.

• المجال الدلالي الثاني: أَلْفَاظُ الْيَوْمِ الْآخِرِ:

نجد ألفاظاً مثل:

(الآخرة)

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في مئة وخمس عشرة آية. وتداول أغلب هذه الآيات حول معنى واحد هو تلك الحياة البعيدة عنّا والتي تبدأ بيوم القيامة والبعث. وقد جاء اللفظ منفرداً في أكثر من آية كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ البقرة/201، وجاء نعتاً لكلمة دار كقوله تعالى: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأعراف/169، ونعتاً للنشأة في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ العنكبوت/20، ونعتاً للملّة في قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ ص/07، يقول المفسرون، أنّ المقصود بـ(الملّة الآخرة) هنا، هو دين عيسى عليه السلام⁴. كما جاءت جاءت الكلمة صفة لقول فرعون السابق على قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ النازعات/25.

¹ - عباس محمود العقاد، إبليس، نخضة مصر للطباعة والنشر، ط3، 2005م، ص30.

² - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص376، الهامش رقم02.

³ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص474.

⁴ - ينظر: تفسير الجلالين، طبعة دار القلم، بيروت، 1983م، ص598.

عُرِفَتْ كلمة الآخرة في اللغة العربية مقابل الدنيا والأولى. جاء في اللسان: الآخرُ خلاف الأول. والأثنى آخرُ. حكى ثعلب: " هُنَّ الأوَّلَاتُ دُخُولًا وَالْآخِرَاتُ خُرُوجًا"¹، وروي عن النبي ﷺ قوله وهو يُمَجِّدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ: " أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ"². وفي شعر العرب ما يدل على أنَّ الآخرَ خلاف الأول، والآخرة خلاف الأولى. قال عوف بن الأحوص:

حَبَّتْ دُونَهُمْ بَكْرٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْهُمْ كَأَنَّهم بِالْمَشْرِفِيَّةِ سَامِرٌ
وَمَا بَرِحَتْ بَكْرٌ تُثُوبٌ وَتُدْعَى وَيَلْحَقُ مِنْهُمُ أَوْلُونَ وَآخِرٌ³

كما ورد في شعرهم ما يدل على أهم كانوا يدركون أنَّ الآخرة هي الحياة الثانية بعد الدنيا، ويدل على ذلك قول المثلم بن رباح

المري:

إِنِّي مُقَسِّمٌ مَا مَلَكَتْ فِجَاعِلٌ أَجْرًا لِآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ⁴

وعلى هذا، فد(الآخرة) بهذا المعنى مصطلح قرآني، استعمله القرآن الكريم في المعنى الذي كان معروفا عند الجاهليين بأنه الحياة الأخرى، كما يُفهم من بيت المثلم بن رباح المري السابق. ويمكن القول إنَّ القرآن الكريم خصَّصه كثيرا لهذه الحياة، لأنَّ الآيات الكثيرة التي وردت فيها كلمة الآخرة، جعلتها تتخصَّص في أفهام النَّاس بهذا المعنى، وتبتعد عن المعنى اللغوي الأساسي لها⁵.

(الصراط)

ذُكِرَتْ في النَّصِّ القرآني ثمانياً وثلاثين مرَّةً بمعنى الطريق. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأعراف/86. وأغلب هذه الآي ينعت فيها اللفظ بكلمة (مستقيم)، فيقال: صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. ولم يبحث العلماء في الكلمة الثانية، لأنها واضحة مفهومة⁶، اسم فاعل من الفعل اسْتَقَامَ.

أما كلمة الصراط فقد اختلف حولها علماء اللغة، فمنهم مَنْ رأى أنها عربية الأصل، وأنَّ الصراط سُمِّي بهذا لأنه يَسْتَرِطُ النَّاسَ أَي يَنْتَلِعُهُمْ، وقيل للطريق صراط لأنه يسترطهم فيذهب بهم... كما سُمِّي طريقاً لظروقتهم الأزقة. واسترط معناه ابتلع، ومنه السَّرَطْرَاط، وهو طعام يُتَلَعُ من غير مضغ، فكانَّ الصراط سُمِّي بذلك⁷.

ذكر السيوطي في الإتقان، أنَّ النَّقَّاشَ وابن الجوزي كلاهما حكى أنَّ الصراط هو الطريق بلغة الروم، ثمَّ رآه في كتاب الزينة لأبي حاتم. وأصل اللفظ في اللاتينية سطرطا strata، أخذته اليونانية ثمَّ دخل مع الحكم الروماني في الآرامية، ومنها أخذته العرب⁸.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (أ خ ر)، ص38.

² - الرمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، تفسير الكشاف، ص62.

³ - المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، ديوان المفضليات، تح أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1964م، ص341.

⁴ - أبو تمام الطائي(الحبيب بن أوس)، ديوان الحماسة، مختصر من شرح التبريزي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1955م، د ط، ص426.

⁵ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص372.

⁶ - ينظر: المرجع السابق، ص464.

⁷ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص401، كزرت في سطرطاء الرءاء والطءاء تبليغا في وصفه، واستلذاذ آكله إياه إذا سرطه وأساعه في حلقه. الهامش رقم04 من الصفحة نفسها.

⁸ - ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص398، والهامش رقم04، ص142 من المصدر نفسه.

من خلال ما ذكره السيوطي، فيه ترجيح على أنّ الكلمة معربة. ويؤكد هذا الترجيح الدكتور حلمي خليل حيث يقول: " فمثلا لفظ الصراط هي من الألفاظ التي نطق بها القرآن الكريم، والتي لاشك أنّها عزّبت قبل الإسلام، لا نجد لها مشتقات واضحة في اللغة العربية، وذلك على الرغم من أنّنا نجدّها في صيغة فعّال العربية. وعلى العكس من ذلك نجد أنّ مادة (س ر ط) التي أفحمت فيها هذه اللفظة باعتبار أنّ الصاد هي السين المطبقة، نجد لمادة (س ر ط) اشتقاقات كثيرة ممّا يؤكد أصلتها في العربية. وتبقى بعد ذلك كلمة (الصراط) المعربة عن اللاتينية لتعلن عن أصلها الغريب عن اللغة العربية. أو كما يقول الأب هنري فليش أنّها ليست سوى الصورة النهائية الآرامية للكلمة اللاتينية strata¹.

• المجال الدلالي الثالث: ألفاظ الفرائض الإسلامية:

كثير من ألفاظ هذا المجال، التي أوردها أبو حاتم الرازي إمّا هي ألفاظ حديثة. إلّا بعض الكلمات القرآنية مثل: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

(الصلاة)

وردت لفظة الصلاة في القرآن الكريم في واحد وستين آية، هذا عدا الآيات التي وردت فيها مشتقات هذه اللفظة. ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الصلاة، قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة/45، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء/73.

و(الصلاة) في معجم اللغة، من صَلَوَ ووزنها فَعَلَةٌ وَقِيلَ فَعَلَةٌ²، ومن صَلَا وهي من الواو وتُجمع على صلوات³، وقد اختلف أهل اللغة في أصلها فقالوا: الصلاة: العظيم الذي فيه مَعْرُزٌ ذَنْبِ الْفَرْسِ وَالْإِثْنَانِ صَلَوَانٌ، وَالصَّلَا: العظم الذي عليه الإلتيان، وهو آخر ما يُبلى من الإنسان⁴. ويُقال: الصلاة: من صَلَيْتُ الْعُودَ إِذَا لَيْتُهُ؛ لِأَنَّ الْمَصْلِيَّ يَلِينُ وَيُخْشَعُ⁵. وَالصَّلَا: وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس، وإذا أتى أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: قد صَلَّى وجاء مُصَلِّياً؛ لِأَنَّ رَأْسَهُ يَتَلَوُ الصَّلَا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ⁶.

قال الرَّجَّاح: الأصل في الصَّلَاةِ اللَّزُومُ، وقال الأزهري: الصَّلَاةُ لَزُومٌ ما فرض الله تعالى. وذهب بعض أهل اللغة إلى أنّ أصل الصَّلَاةِ: التعظيم، وسُميت الصَّلَاةُ الْمُخْصُوصَةُ صَلَاةً لِمَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ الرَّبِّ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الصَّلَاةَ فِي اللُّغَةِ أَصْلُهَا الدَّعَاءُ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الصَّلَاةِ، وَهِيَ الْعِبَادَةُ الْمُخْصُوصَةُ، وَأَصْلُهَا الدَّعَاءُ فِي اللُّغَةِ، فَسُمِّيَتْ بِبَعْضِ أَجْزَائِهَا⁷.

وقد عدّها صاحب المزهري من الأسماء الإسلامية فقال: " وممّا جاء في الشَّرْعِ الصَّلَاةُ، وَأَصْلُهُ فِي لُغَتِهِمُ الدَّعَاءُ، وَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ¹". فَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ فِيهَا رُكُوعٌ وَسُجُودٌ وَهَذِهِ الْعِبَادَةُ لَمْ تَنْفَصِلْ شَرِيعَةً مِنْهَا، وَإِنْ ائْتَلَفَتْ

¹ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص 465.

² - الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد)، كتاب العين، تح د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، د ط، 1984م، ج 7، ص 153.

³ - ابن منظور، لسان العرب مادة (ص ل ا)، ص 2490.

⁴ - ينظر: المصدر السابق، ص 2490، وأحمد بن فارس، مجمل اللغة، تح زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ج 1، ص 538.

⁵ - أحمد بن فارس، مجمل اللغة، ج 1، ص 538.

⁶ - الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد)، كتاب العين، ج 7، ص 153.

⁷ - ابن منظور، لسان العرب مادة (ص ل ا)، ص 2490.

صُورُهَا لَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ النساء/103.

فهي حقيقة شرعية لا دلالة لكلام العرب عليها، إلا من حيث اشتغالها على الدعاء الذي هو أصل معناها. وهذا المعنى هو الأرجح في أصل الصلاة، لِمَا له من صلة وقرب من المعنى الإسلامي للصلاة، وقد استعمل في القرآن المعنى الأصلي للصلاة وهو الدعاء، يقول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة/103.

جاء القرآن الكريم فخصّص الصلاة، إذ صارت عبادة مخصوصة، لها هيئة معروفة، بل هي الركن الثاني من أركان الإسلام، لها أثرها في حياة الإنسان المسلم. فباتت مصطلحاً قرآنياً علماً على هذه العبادة. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت/45.

(الصِّيَام)

ورد في القرآن الكريم في أربع عشرة آية معظمها في سورة البقرة²، ومن مواضع ذكر الصيام في القرآن، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة/183، وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا﴾ المجادلة/04.

والصِّيَام من صَامَ يَصُومُ صَوْماً وصِيَاماً، واصططاً: إذا أمسك، هذا أصل اللغة في الصوم. ويقال صامَ الفرس: إذا لم يعتلف، وصامت الريح: ركدت، وصامت الشمس: استوت في منتصف النهار، والصوم: شجر في لغة هذيل³. ويقال: رجل صائمٌ وصوّمٌ، وصوّم: اسم جمع وقالوا: جمع صائم، والصوّم: ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام⁴. ومنه قول سفيان بن عيينة: الصوم هو الصبر، يصبر الإنسان على الطعام والشراب والنكاح⁵.

وردت لفظة الصِّيَام ومشتقاتها في الشعر العربي، قبل نزول القرآن بمعانيها المختلفة التي سبق أن ذكرت، والصِّيَام بمعناه الأصلي: الإمساك عن الحركة، فكل شيء سَكَنتُ حركته فقد صام، يقال: خيلٌ صائمة: إذا سَكَنت حركتها. قال النابغة:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ الْجُمَاةُ

إذن العرب لم تعرف الصِّيَام بعبئته التي جاء بها الإسلام، فلم تعرف العرب الصِّيَام إلا الإمساك، والتبّات والسكون، فتطور عنه المعنى الجديد للصِّيَام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح، كما "زادت الشريعة النية"⁷، وجعلته الركن الثالث من أركان الإسلام، بكل هذا صار الصِّيَام مصطلحاً قرآنياً خاصاً بمعنى محدّد في شهر معيّن هو شهر رمضان¹.

¹ - السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهري في علوم اللغة، تح محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البحراوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط 1، د 1، ج 1، ص 295.

² - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص 218.

³ - الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد)، كتاب العين، ج 7، ص 171.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب مادة (ص و م)، ص 2529.

⁵ - المصدر السابق، ص 2529.

⁶ - النابغة الذبياني، الديوان، ص 161.

⁷ - السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهري في علوم اللغة، ج 1، ص 295.

عند هذا القدر من القول، نكون قد استعرضنا طائفة من الكلمات القرآنية التي وردت في كتاب الزينة، ملتزمين بلفظ الكلمة قيد البحث وصورتها الصرفية، وذكرها في القرآن الكريم ثم دلالتها في هذا النص مقارنة بمعناها الأصلي كلما أمكن ذلك.

3.2 المستوى الثالث: الألفاظ المولدة

أما المستوى الأخير من مستويات الألفاظ الواردة في كتاب الزينة، والتي لم توجد بصيغتها في النصوص الجاهلية أو القرآنية، هي الألفاظ المولدة، والمقصود بالتوليد استحداث ألفاظ جديدة من حيث المبنى الصرفي والدلالة، إلا أنّ هذه الألفاظ مركبة من مواد لغوية قديمة مع إضافة بعض القوالب والأوزان الصرفية أو اللواحق ذات المعنى. فعلى سبيل المثال: كلمة (شعوبية): نجد أنها مكونة من: (شعوب) جمع تكسير + (ية)، و(شعوب) مادة لغوية قديمة من (ش ع ب)، و(ية) لاحقة صرفية، أو قالب صرفي له معنى، ونتيجة لهذا التركيب، تنشأ كلمة جديدة ذات مبنى ومعنى جديدين².

وتقع هذه الكلمات أو المصطلحات المولدة من كتاب الزينة تحت مجال دلالي واحد هو: ألقاب الفرق الإسلامية³، يمكن تصنيفها كالتالي⁴:

أ ألفاظ يمكن إدراجها تحت باب (الجموع)

الكلمة	الصيغة	بابها	الصفحة
النجدات	فعلات	جمع مؤنث سالم	285
الشكاك	فعال	جمع تكسير	268
الأزارقة	أفاعلة	جمع تكسير	284
الخوارج	فواعل	جمع تكسير	282

يضم هذا الجدول الصيغ الصرفية التالية:

- صيغة الجمع المؤنث السالم (فعلات)، وهي في الأصل مركبة من الواحد فعلة + ا ت. الدالان على الجمع والتأنيث، هما أحد المورفيمات الصرفية.
- صيغة فعال، وهي من الصيغ الأصول في جمع فاعل إذا كان وصفاً. وفي (شكاك)، دلّت الصيغة على شيئين: الصفة وهي الشك أو التشكيك، ثمّ المبالغة في هذا وتكرره أكثر من مرة بدخول التضعيف على الصيغة.
- صيغة أفاعلة في (أزارقة)، وهي مركبة من: (أفاعل + ة). وأزرق في الأصل وصف، وأفعال الصفة لا يجمع إلا على فُعَل كَأحمر حُمْر، وأزرق زُرُق أو يجمع على فُعَلان نحو زُرُقَان وسوَدَان. إلا أنّ أزرق قد أصبح اسماً ومن هنا جاز جمعه على أفعال فقليل أزارق، ثمّ ألحقت الهاء بالكلمة.

¹ - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص220.

² - ينظر: محمد رياض العشري، التصور اللغوي عند الاسماعيلية (دراسة في كتاب الزينة)، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1985م، ص314.

³ - الرازي (أحمد بن حمدان)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، بغداد، ط3، 1988م، ج3. (هذا الجزء متعلق بأصحاب الفرق الإسلامية، والفرق التي تفرّعت عنها من أهل الأهواء والنحل المختلفة).

⁴ - ينظر: محمد رياض العشري، التصور اللغوي عند الاسماعيلية، ص314 إلى 321.

• هذه صيغة من أمثلة جمع الكثرة، والذي يؤكد الواقع اللغوي أنّ (خارج) جمع لفاعلة، أي طائفة خارجة، وليس لفاعل أي خارج، مما يظهر من استعمال المصطلح في الواقع اللغوي. وعلى أية حال، فهذه الجموع تستخدم استخدام اللفظ المفرد كما يفرضه الواقع اللغوي، لأنّ كلّ منها علم على فرقة مخصوصة.

ب - ألفاظ تقع تحت باب (المصدر)

الصفحة	نوعها	صيغتها	أصلها	الكلمة
272	مصدر	فعل	قدر	القدر. ية
301	مصدر	فعل	بتر	البتر. ية
290	مصدر	فعل	قطع	القطعة. ية
267	مصدر	فعل	حشو	الحشو. ية

ثلاثية، زيدت عليها

هذه مصادر

اللاحقة (ية) تحوّل معناها في الواقع اللغوي إلى الدلالة على الجمع، بعد أن كانت تدل على الحدث فقط من قبل.

ج - ألفاظ تقع تحت باب (اسم الفاعل)

الصفحة	نوعها	صيغتها	أصلها	الكلمة
297	اسم فاعل	فاعل	هاشم	هاشم. ية
298	اسم فاعل	فاعل	حارث	حارث. ية
268	اسم فاعل	فاعل	مالك	مالك. ية
262	اسم فاعل	مفعل	مرجئ	مرجئ. ة
273	اسم فاعل	مفتعل	معتزل	معتزل. ة

هذا الجدول يضم صيغة اسم الفاعل من الثلاثي والرابعي. وهي في أصلها أعلام لحقت بها اللاحقة (ية)، فخرجت صيغ جديدة دلت على الجمع، بعدما كانت دالة على الفاعل المذكور في اسم الفاعل من الثلاثي. أمّا من الرابعي، فهي صفات زيدت بها اللاحقة، وأضيفت (الهاء) إلى الكلمات الأخرى الدالة على النسب. فهذه الأسماء جميعها، تستعمل كأعلام لطوائف معينة دالة على الجمع دون قصد إلى الحدث أو إخبار لوقوع الفعل من فاعل ما أو عدم وقوعه.

د - ألفاظ تقع تحت باب (اسم المفعول)

الصفحة	نوعها	صيغتها	أصلها	الكلمة
306	اسم مفعول	مفعل	معمّر	معمّر. ية
289	اسم مفعول	مفاعل	مبارك	مبارك. ية
290	اسم مفعول	مفعول	مّمطور	مّمطور. ة

أسماء مفعول من الثلاثي والرباعي، وهي أصلاً أسماء أعلام تُنسب إليها الفرق المذكورة. أُضيفت إلى الاسمين الأولين اللاحقة (ية)، وعلى الاسم الثالث اللاحقة (ة)، مكونة بذلك مصطلحات جديدة.

أ - ألفاظ تقع تحت باب (صيغ المبالغة)

الكلمة	أصلها	صيغتها	نوعها	الصفحة
العَبَّاسِيَّة	عَبَّاس	فَعَّال	صيغة مبالغة	298
الخطَّابِيَّة	خطَّاب	فَعَّال	صيغة مبالغة	289

وليس في (العَبَّاسِيَّة أو الخطَّابِيَّة) ما يدل على مبالغة اسم الفاعل، لأنهما بناءان مولدان يحدد معناهما الاستعمال في الواقع اللغوي وليس أصلهما الصَّرْفِيّ.

هـ - ألفاظ تقع تحت باب (النسب)

الكلمة	أصلها	صيغتها	نوعها	الصفحة
العجَلِيَّة	العجلى	فَعْلِي	منسوب	301
الحروريَّة	حروراء	فَعْلَاء	منسوب	279

(العجَلِيَّة، والحروريَّة) من هذا الباب، كلمتان منسوبتان: عَجَلِي وحروري ثمَّ لحقتهما (الماء) الدالة على ياء النسبة في المفرد. ودلالة (العجَلِيَّة، والحروريَّة) فيها النسبة وفيها الصفة، إلاَّ أنَّ فيهما أيضاً الدلالة على (جماعة)، وليس فردا يسمَّى العجلى أو بلدة تسمَّى حروراء. هذا التَّغْيِيرُ في مباني الكلمات قد أدَّى إلى تَغْيِيرٍ في معانيها، ومن هنا يمكن أن ندرج هذه الكلمات الجديدة تحت باب (الألفاظ المولدة)، والتي لم تنصَّ عليها بصيغتها الشواهد من الشعر الجاهلي، أو آي القرآن الكريم، أو روايات الحديث الشريف، على الرِّغم من أنَّها مركَّبة من موادَّ لغويَّة قديمة.

عند هذا القدر من القول، نكون قد استعرضنا طائفة من الكلمات القرآنية التي وردت في كتاب الزينة، ملتزمين بلفظ الكلمة قيد البحث وصورتها الصرفية، وذكرها في القرآن الكريم ثمَّ دلالتها في هذا النص مقارنة بمعناها الأصلي كلما أمكن ذلك.

3. خاتمة:

تناول هذا البحث بالدراسة مستويات المفردة في كتاب " الزينة "، ومدلولاتها في الجاهلية والإسلام (الألفاظ الجاهلية، الألفاظ الإسلامية، الألفاظ المولدة). كلَّ صنف حسب مجالاته الدلالية، فعرفنا منها ألفاظا تعود إلى الجاهلية، وأخرى تعود إلى النصوص الإسلامية، ثمَّ ثلاثة مولدة من موادَّ قديمة، إلاَّ أنَّها وضعت في صيغ صرفية أكسبتها دلالات جديدة.

اهتمَّ المؤلف بتطور الكلمات من حالة إلى أخرى، سواء أكان تطوراً دلالياً أم تطوراً لفظياً بين عصرين مختلفين، هما: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، ومما يدلُّ على ذلك: استدلاله بالشواهد التي أوردها على الكلمات، فهو يورد شواهد من عصر ما قبل الإسلام إلى جانب شواهد من العصر الإسلامي. كما أسهم الرازي في كتابه " الزينة " في جمع بعض ألفاظ اللغة ودراسة تطور دلالتها، فأفاد بذلك أصحاب المعاجم وعلماء التفسير من بعده. إلاَّ أنَّ ما أورده من كلمات، لا يقع كلُّه ضمن الكلمات الإسلامية، بل إنَّ جزءاً منها لا يُعدُّ إسلامياً.

انتهت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إيجاز أهمها في الآتي:

1. أبو حاتم الرازي، من العلماء الذين عاشوا في العصر العباسي الثاني، وهو عصر ازدهرت فيه الحياة الأدبية والفكرية نتيجة امتزاج الثقافات الأجنبية.
2. تأليفه للكتاب إنما كان بهدف إفادة الأدباء والفقهاء في بعض الكلمات التي يرى في تعلمها نفع كبير وزينة عظيمة.
3. يبدو في كتابه لغوياً أكثر منه فقيهاً، فهو ينتمي إلى مدرسة لغوية سادت في عصره وهي (مدرسة الاشتقاقيين)، الذين ربطوا بين الألفاظ ومدلولاتها ربطاً وثيقاً.
4. كتاب " الزينة " من المحاولات الناجحة، والآراء السديدة في الكثير من القضايا اللغوية في دراسة تطور دلالة الألفاظ، إذ فتح باباً كبيراً في الدراسات الدلالية لألفاظ اللغة العربية.
5. كتاب الزينة مُحفّز للدارسين في عصرنا الحاضر على أن يتوقّفوا على تلك الدراسة الدلالية للألفاظ العربية متخذين من ذلك الكتاب الأسوة الحسنة.
6. إسهامه بمؤلفه " الزينة " في جمع مفردات اللغة ودراسة تطور دلالتها، أفاد به أصحاب المعاجم وعلماء التفسير.
7. مصطلحات تغيرت دلالتها عما كانت عليه في العصر الجاهلي، فكانت عامة الدلالة ولما جاء القرآن الكريم خصص دلالتها كالصلاة والصيام.
8. مصطلحات ثبتت دلالتها في القرآن الكريم على ما كانت عليه في الشعر الجاهلي كالجنة والملائكة.
9. مصطلحات أعطاها القرآن دلالة جديدة لم تكن معروفة لها في الشعر الجاهلي كالجبار.
10. مصطلحات مولدة، لم توجد بصيغتها في النصوص الجاهلية أو القرآنية، هي ألفاظ جديدة من حيث المبنى الصرفي والدلالة كأسماء الفرق.

4. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسين)، جمهرة اللغة، تح د. روزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
2. ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1970م.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، دت.
4. أبو السعود، المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المطبعة المصرية، الأزهر الشريف، ط1، 1928م.
5. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تح د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م.
6. أبو تمام الطائي (الحبيب بن أوس)، ديوان الحماسة، مختصر من شرح التبريزي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1955م، د ط.
7. أحمد بن فارس (أبو الحسين)، معجم المقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، 1392هـ/1972م.
8. أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تح زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ج1، د ط، دت.

9. الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك)، الأَصمعيات، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، لبنان، ط5.
10. الأعشى الكبير، الديوان، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين - دار النهضة العربية، بيروت 1972م.
11. امرؤ القيس، الديوان، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ/2004م.
12. أمية بن أبي الصلت، الديوان، تح د. سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.
13. أوس بن حجر، الديوان، تح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط2، 1967م.
14. التبريزي (الإمام الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي)، شرح القصائد العشر، إدارة الطباعة المنيرية، د ط، د ت.
15. حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، طبعه ونشره عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، د ط، د ت.
16. الرازي (أحمد بن حمدان)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994م.
17. الرازي (أحمد بن حمدان)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط للنشر، بغداد، ط3، 1988م، ج3.
18. الرازي (أبو بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، رتبه محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 2009م.
19. الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت.
20. الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري)، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1399هـ/1979م.
21. الزخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، تفسير الكشاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، تح د. خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط، 1430هـ/2009م.
22. زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح أبي العباس ثعلب، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
23. الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين)، شرح المعلقات العشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
24. سلامة بن جندل، الديوان، تح راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.
25. السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين)، المزهرة في علوم اللغة، تح محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، د ط، د ت، ج1.
26. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د ط، 1984م.
27. طرفة بن العبد، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، تح درية الخطيب و لطفى الصغّال، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.
28. عباس محمود العقاد، إبليس، نخضة مصر للطباعة والنشر، ط3، 2005م.
29. عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م.

30. عبد الله بن الزبير، الديوان، تح د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ/1981م.
31. العجاج، الديوان، تح د عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1416هـ/1995م، د ط.
32. عدي بن زيد العبادي، الديوان، تح محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية للنمشر والطبع، بغداد، د ط، 1385هـ/1965م.
33. عمرو بن شأس الأسدي، الديوان، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، 1403هـ/1983م، ط2.
34. عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، د ط، دت.
35. فخر الدين الرازي، لوامع البيان شرح أسماء الله تعالى والصفات، قدم له عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.
36. الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد)، كتاب العين، تح د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، د ط، 1984م.
37. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، الجامع لأحكام القرآن، تح د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الرسالة، 1427هـ/2006م، ط1.
38. كعب بن زهير، الديوان، تح د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، د ت.
39. لييد بن ربيعة، الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
40. محمد رياض العشيري، التصور اللغوي عند الاسماعيلية (دراسة في كتاب الزينة)، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1985م.
41. المفضل بن محمد بن يعلي الضبي، ديوان المفضليات، تح أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1964م.
42. النابغة الذبياني، الديوان، اعتمى به وشرحه، حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، دت.